سلسلة الرسائل (٤٢)

مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٥هـ

من بركات القرآن

للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ
مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

الودعية
alwadei967.blogspot.com telegram.me/alwad3ya

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله ونبيه محمد الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فمرحبًا بكن، وحياكن الله جميعا، وأهلًا وسهلًا.

نذكر أنفسنا إن شاء الله ببعض بركات القرآن الكريم؛ ليكون حافزًا لنا ولبناتنا وأخواتنا على الاهتمام بتلاوة كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

وقد أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بتلاوته فقال: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ

﴿٩٢﴾ ﴾ [النمل]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف].

في هاتين الآيتين يأمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بتلاوة كتابه العزيز.

وهذا إن كان فيه الأمر للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بتلاوة كتاب الله فأمته تَبَعٌ له؛ إذ هو قدوتنا وأسوتنا ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

فنحن مأمورات بالتأسي بالنّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، والاهتداء بهديه، والسير على نهجِهِ.

وإن من رزقه الله عَزَّوَجَلَّ الاهتمام بالقرآن الكريم وبتلاوته فقد اختصَّه من بين خلقه، واختاره واصطفاه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢].

وإن من بركات القرآن الكريم:

أنه تجارة رابحة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر].

هذه الآية تُسمى آية القرَّاء، قال ابن جرير في «تفسيره»(٢٠/٤٦٤):

حدثنا ابن المثنى قال: ثنا محمد بن جعفر قال: ثنا شعبة، عن يزيد، عن مطرف بن عبد الله أنه قال في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية، قال: هذه آية القراء.

هؤلاء هم أهل التجارة الرابحة، تجارة لا أعلى منها، ولا أحسن منها، من اتصف بهذه الصفات الثلاث.

الأولى: تلاوة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا يكون بقراءته، وبالعمل به، والتخلق بأخلاقه.

والصفة الثانية: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إقام الصلاة على الوجه المشروع التام، نسأل الله أن يرزقنا حلاوة الصلاة، وأن يجعلها قرة عين لنا كما قال

النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»(١).

والصفة الثالثة: ﴿ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ ينفقون في وجوه الخير، ينفقون ويبذلون أموالهم للأيتام والأرامل والمساكين والمحاويج، ينفقون أموالهم في وجوه البِرِّ والخير ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾، أي: ينفقون في جميع الأوقات جهرًا وسرًّا.

فهؤلاء هم أهل التجارة الرابحة.

﴿ لَّن تَبُورَ ﴾ لن تهلك ولن تَكْسَدَ هذه التجارة، أما تجارة الدنيا فهي فانية زائلة مهما كبرت ومهما عظمت، ويقال: بارت التجارة، إذا كثُرت في الأسواق ولم يكن هناك زبون يشتريها، ما وجدت من يشتريها.

فالتجارة الرابحة في تلاوة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، في التقرب إلى الله.

ثم بشَّر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من اتصف بهذه الثلاث الصفات، فقال: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾، فذكر تَعَالَى أنهم

---

(١) رواه النسائي في «سننه» (٣٩٣٩) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكره والدي في «الصحيح المسند» (١٠٠).

يفوزون بالتجارة الرابحة، ويجازيهم الله عَزَّوَجَلَّ بالثواب والأجور على أعمالهم، ويعطيهم زيادة على أجورهم؛ تفضُّلًا منه وإحسانًا، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ يقول: إن الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم، شكور لحسناتهم (٢).

وفي هذا تحفيز عظيم على تلاوة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فلا نضيع -أيها السامعات- هذه التجارة الرابحة، لا نضيعها بالكسل، ولا نضيعها بكثرة الخروج والدخول لأتفه الأسباب، ولا نضيعها في المنتزهات ومجالس القيل والقال، ولا نضيعها في الجوالات التي تسرق الأوقات، فهي لص من اللصوص في سرقة الأوقات وفي سرقة الخيرات، فهذه تجارة رابحة لا أفضل منها، ولا أعلى منها، إنه الفوز برضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢]، وفي الحديث يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ

(٢) «تفسير ابن جرير».

وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»(٣).

هذا يقوله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سياق الامتنان على أهل الجنة «أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»، إنه الفوز برضا الله سُبحَانَهُ، الفوز بالجنة، النجاة من النار، وربنا عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ أي: أُبْعد عن النار وأدخل الجنة فقد فاز.

فهذا الذي ينبغي أن نتنافسَ فيه، وهذا من بركات القرآن، ومن فضائله ومنزلته الرفيعة.

---

(٣) رواه البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

القرآن شفاء لقلوبنا وأبداننا، القرآن من أسباب الصحة والعافية، فيا من تريدين أن يكون قلبك طاهرًا نظيفًا صافيًا، ويا من تريدين الخير، ويا من تريدين الشفاء لأمراضك، عليك بالقرآن الكريم، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾ [يونس]. ويقول سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢ ﴾ [الإسراء]، ويقول سُبحَانَهُ: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤ ﴾ [فصلت].

ودائمًا كل مؤمن ومؤمنة يسعى وتسعى لصلاح القلب وتنقيَتِهِ وتصفيَتِهِ، وتفقُّده هل فيه أمراض، هل فيه حسد، هل فيه غِلٌّ.

وإذا صلحت هذه السريرة فالمؤمن في خير، وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى في «الداء والدواء»(٧٥): وَلَيْسَ لِشِفَاءِ الْقُلُوبِ دَوَاءٌ قَطُّ أَنْفَعُ مِنَ

الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ شِفَاؤُهَا التَّامُّ الْكَامِلُ الَّذِي لَا يُغَادِرُ فِيهَا سَقَمًا إِلَّا أَبْرَأَهُ، وَيَحْفَظُ عَلَيْهَا صِحَّتَهَا الْمُطْلَقَةَ، وَيَحْمِيهَا الْحَمِيَّةَ التَّامَّةَ مِنْ كُلِّ مُؤْذٍ ومضر.

(لَا يُغَادِرُ) أي: لا يبقي مرضًا إلا شفاه بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، بما فيه من شوائب وأمراض القلوب، فالقرآن شفاء.

فاهتمي بهذا الطب القرآني، فهو شفاء لأمراضنا، وشفاء لقلوبنا، وفيه سعادتنا، وهذا من بركات القرآن الكريم.

القرآن الكريم رفعة في الدنيا والآخرة، يقول الله تَعَالَى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]، وروى الإمام مسلم (٨١٧) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

ورفعة العلم تشمل أمرين:

أحدهما: رفعة معنوية، وذلك باشتهار سمعته وصِيته بين الناس، هذه الرفعة المعنوية، كيف يرفع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قُرَّاء القرآن، كيف يكون لهم مكانة في قلوب الناس! أكرمهم الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الرفعة.

والرفعة الثانية: رفعة حسية، وهي رفعة الدرجات والمنزلة في الآخرة ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢١][٤].

الناس في الدنيا يتفاوتون طبقات: فمنهم الرفيع العالي، ومنهم المتوسط، ومنهم الأدنى. وفي الآخرة الدرجات أيضًا تتفاوت بل وأعظم ﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾.

وثبت عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا» رواه أبو داود، والحديث حسن.

ودرجات الجنة ليست كالدرجات المعهودة، بُعد مسافة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، كما في «صحيح البخاري» (٢٧٩٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ

---

(٤) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في «فتح الباري»(١/ ١٤١): وَرِفْعَتُهَا تَشْمَلُ: الْمَعْنَوِيَّةَ فِي الدُّنْيَا بِعُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ وَحُسْنِ الصِّيتِ، وَالْحِسِّيَّةَ فِي الْآخِرَةِ بِعُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ فِي الْجَنَّةِ.

اللَّهِ، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ -أُرَاهُ- فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ».

فهذه رفعة ليس بعدها رفعة، رفعة الدنيا ما هي بشيء، يعني: رفعة الناس بالأموال والتجارات ليست بشيء؛ لأنها مؤقتة، فهي حطام فانٍ زائل لا وزن لها ولا قيمة. بخلاف رفعة القرآن فإنها تدوم لصاحبها، وفي الحياة الدنيا تكون رفعةً له وتثبيتًا له بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، تكون تثبيتًا لقلبه، وتدخل معه هذه الرفعة في قبره، وتكون تثبيتًا له هناك وفي عرصات يوم القيامة، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ويجازيه الله عَزَّوَجَلَّ بالجنة، ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة].

ولكن لا يكن الهدف الرفعة بين الناس، تحفظ القرآن لوجه الله عَزَّوَجَلَّ وإلا لن ينفعها، لا يكون عندها دسيسة أنها تحفظ؛ لأن تكون مرموقة بالأبصار، وأن يكون لها منزلة بين الناس، هذا الصنف يعامله الله عَزَّوَجَلَّ

بنقيض قصده، فلا يكون له قدر ولا قيمة ولا وزن ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٣].

كما نستفيد من أدلة فضائل القرآن وبركاته: تحفيز الآباء والأمهات أن يرشدوا أبناءهم إلى هذا الخير، وأن يربُّوهم على محبة كتاب الله، والاهتمام بتلاوة كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذه منزلة رفيعة، والمحروم من حرمها، نسأل الله العافية.

وروى الإمام مسلم (٨٠٤) عن أبي أمامة الباهلي صدي بن عجلان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ».

«شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ» أصحاب القرآن: الملازمون لتلاوته المستكثرون منه.

وهذا فيه دليل على أن من أسباب نيل الشفاعة قراءة القرآن.

الشفاعة في أي شيء؟ لم تبيَّن في هذا الحديث، فيحتمل: أنها الشفاعة في تخليصه من الحساب يوم القيامة، أو في رفع درجاته، أو في دخوله الجنة، أو في نجاته من دخول النار.

«اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ» أي: المنيرتين البقرة وسورة ال عمران.

«فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ»، أي: سحابتان.

«أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ» وهذه دون السحابة، وتكون أقرب إلى الرأس.

«أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ» أي: طائفتان. «مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ» أي: باسطة بأجنحتها، هذا ثواب قراءة هاتين السُّورتين[٥] أنه يأتي ويظل أصحاب سورة البقرة وسورة آل عمران.

---

(٥) قال الترمذي(٢٨٨٣): وَمَعْنَى هَذَا الحَدِيثِ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّهُ يَجِيءُ ثَوَابُ قِرَاءَتِهِ، كَذَا فَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ هَذَا الحَدِيثَ وَمَا يُشْبِهُ هَذَا مِنَ الأَحَادِيثِ، أَنَّهُ يَجِيءُ ثَوَابُ قِرَاءَةِ القُرْآنِ.

فهذا تحفيز وعلى الأقل يهتم المسلم وتهتم المسلمة بهاتين السورتين الزهراوين، ففي ذلك اليوم العظيم يوم القيامة الناس في حَرِّ الموقف في عرصات يوم القيامة الذي يجتمع فيه الأولون والآخرون، وصاحب هاتَيْنِ السورتين في الظل، والشمس قد دنت قربت يوم القيامة كما ثبت عن الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا». قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ(٦).

الشمس تقرب، والناس يكونون في أشد زحام والعرق يتصبب منهم ويسيل في الأرض، ويصيرون فيه كأنهم يسبحون، ولكن صاحب هاتين السُّورتين في ظل وفي كرامة عظيمة.

---

(٦) رواه مسلم (٢٨٦٤).

ثم قال النّبيّ ﷺ: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ» أي: قراءتها والعمل بها بركة، كثيرة المنافع والخير لصاحبها.

«وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ» ندامة في الدنيا والآخرة؛ لأنه يفوته الخير ويفوته الثواب إذا قصَّر في قراءة هذه السورة العظيمة.

«وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ» البطلة قال أحد رواه هذا الحديث: بلغني أنها السحرة.

أي: أنهم لا يوفَّقون لقراءة سورة البقرة، لا يقدرون على قراءتها. أو أن المراد: أنهم لا يستطيعون أن يتوصلوا بأذى لمن كان يقرأ سورة البقرة.

هذا الحديث حثَّ النّبيّ ﷺ حثًّا عامًّا على قراءة القرآن، وأنه من أسباب الشفاعة، ثم حث ﷺ على قراءة الزهراوين، ثم حث على قراءة سورة البقرة.

وهذا هو الذي ينبغي أن نتنافس فيه، وأن نغبط فيه غيرَنا، فلا غبطة إلَّا في شيئين.

روى البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥) عَنْ ابن عمر، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ».

هذه هي الغبطة الحقيقية-حفظكن الله-أن نغبط صاحب القرآن، وخاصة الذي يتلو القرآن كأنه مسجِّل، هذه النعمة فيها أعظم، والامتنان بها أجَل.

فهذه هي الغبطة الحقيقية لا الغبطة في الأولاد، ولا الغبطة في الجمال، ولا الغبطة في الأموال، ولا في حطام الدنيا وزخارفها، الغبطة الحقيقية أن نغبط من يسخِّر نفسه لتلاوة القرآن.

وثبت عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ» رواه مسلم (٨٠٣).

وما أعظمها من نعمة والله! أن يكون البيت له دوي كدوي النحل، يعني: أصوات القارئين في البيت، الصغير يقرأ، المرأة تقرأ، الأب يقرأ، الأولاد يقرأون، هذه نعمة والله عظيمة، هذا هو البيت السعيد الذي ينتعش بالقرآن وبذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا هو الذي يطرد الشيطان؛ لأن ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مطردة للشيطان، والقرآن الكريم من ذكر الله، وتشمله أدلة الحث على ذكر الله، وفضائل الذكر ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد].

بل القرآن أفضل الذكر على الإطلاق إلا في مواضع، مثلًا: سمعتِ الأذان وأنتِ تقرئين القرآن قفي، اقطعي القراءة حتى تتابعي المؤذن، أو أُلقي عليك السلام قفي وردي السلام، أو عطس عاطس، وقال: الحمد لله يقف القارئ، ويقول: يرحمك الله، وهكذا. وإلا الأصل أن القرآن الكريم هو أفضل أنواع الذكر على الإطلاق.

فعلينا أن نسابق إلى قراءة القرآن الكريم؛ لنكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ

﴿لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ولنكون من المفلحين، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

فضائل القرآن وبركات القرآن لا تعد ولا تحصى.

وإن من بركات القرآن: أن أهله هم أهل الله وخاصته، ثبت عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ» (٧).

ومن هم أهل القرآن؟

هم الذين يعملون بالقرآن، حفظوه عن ظهر قلب أو لم يحفظوه (٨)، هم الذين يعملون بالقرآن فممكن عامي وهو من أهل القرآن؛ لأنه يقف مع القرآن، فيمتثل أوامره وينزجر عند نواهيه، يعمل بالقرآن ويتخلق به، فيكون من أهل القرآن.

---

(٧) رواه ابن ماجة في «سننه» (٢١٥) وهو في «الصحيح المسند» (٧٧) للوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٨) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «زاد المعاد» (١/٣٢٧): أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمُ الْعَالِمُونَ بِهِ، وَالْعَامِلُونَ بِمَا فِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَحْفَظُوهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ. وَأَمَّا مَنْ حَفِظَهُ وَلَمْ يَفْهَمْهُ وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا فِيهِ، فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ وَإِنْ أَقَامَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهْمِ.

إذاً من هم أهل القرآن؟

هم الذين يعملون به حتى لو لم يحفظوه، والدليل عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا» رواه مسلم (٨٠٥).

«تُحَاجَّانِ»أي: تجادلان، وما أحوجنا إلى من يقف معنا يوم القيامة ويناصرنا ويجادل عنَّا!

فهاتان السورتان تأتيان وتجادلان عن صاحبهما، الذي يتلوهما ويعمل بهما، تدافعان وتخاصمان عنه، يا لها ممن منقبة عظيمة!

وهذا هدي السلف الصالح في التعامل مع القرآن، الوقوف معه وتدبره والعمل بما فيه، روى محمد بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «الطبقات» (٦/٤٤٩)عن أبي عبدالرحمن السلمي، قال: إنا أخذنا هذا القرآن عن قوم

أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن، والعمل به، وإنه سيرث القرآن بعدنا قوم ليشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم، بل لا يجاوز هاهنا، ووضع يده على الحلق. والأثر ثابت.

فهنيئًا لأهل القرآن، هنيئًا للمشتغلين بالقرآن، هنيئا للذين يحملون القرآن في صدورهم.

ومن بركات القرآن: تقديم صاحب القرآن في الدفن، روى البخاري (١٣٤٣)عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ.

يعني: أول من يُدفن ويُجعل في اللحد حافظ القرآن؛ إكرامًا له واحترامًا له، وهذا يدل على منزلة أهل القرآن.

ومن بركات القرآن: أن صاحبه يستحق الإكرام والتزويج:

عن سهل بن سعد جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: جِئْتُ أَهَبُ نَفْسِي. فَقَامَتْ طَوِيلًا، فَنَظَرَ وَصَوَّبَ، فَلَمَّا طَالَ مُقَامُهَا، فَقَالَ رَجُلٌ: زَوِّجْنِيهَا، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ؟ قَالَ: «عِنْدَكَ شَيْءٌ تُصْدِقُهَا؟». قَالَ: لَا. قَالَ: «انْظُرْ». فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: وَاللهِ! إِنْ وَجَدْتُ شَيْئًا. قَالَ: «اذْهَبْ، فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ». فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، قَالَ: لَا، وَاللهِ! وَلَا خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ». وَعَلَيْهِ إِزَارٌ مَا عَلَيْهِ رِدَاءٌ، فَقَالَ: أُصْدِقُهَا إِزَارِي؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِزَارُكَ! إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ». فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَلَسَ، فَرَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُوَلِّيًا، فَأَمَرَ بِهِ فَدُعِيَ، فَقَالَ: «مَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟». قَالَ: سُورَةُ كَذَا، وَكَذَا، لِسُوَرٍ عَدَّدَهَا، قَالَ: «قَدْ مَلَّكْتُكَهَا، بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»

رواه البخاري (٥٨٧١)، ومسلم (١٤٢٥).

«جِئْتُ أَهَبُ نَفْسِي» تنافس في الخير، كان النساء يتنافسن في الخير وفي القرب من النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولينلنَ شرف أزواجه، وقد قالت ابنةٌ لأنس

بن مالك عن الواهبة: مَا أَقَلَّ حَيَاءَهَا! وَا سَوْأَتَاهْ وَا سَوْأَتَاهْ، قَالَ: هِيَ خَيْرٌ مِنْكِ رَغِبَتْ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا (٩).

فكان من النساء من تهب نفسها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا من خصائصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

«فَنَظَرَ وَصَوَّبَ»، وفي رواية «فَصَعَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ، ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ»(١٠) تصعيد النظر: النظر في الأعلى والأسفل(١١)، وقد كانت واقفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(١٢).

فصعد فيها النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النظر ثم طأطأ، أي: نكس رأسه، أطرق رأسه.

---

(٩) رواه البخاري (٥١٢٠).

(١٠) هذا اللفظ رواه البخاري(٥٠٣٠)، ومسلم (١٤٢٥).

(١١) في «النهاية»(٣/ ٣٠): عن حديث: فَصَعَّدَ فيَّ النظرَ وصوَّبه. أَيْ: نَظَرَ إِلَى أعْلايَ وأسْفَلِي يَتَأَمَّلُني.

(١٢) وقد جاء صريحًا أنها كانت واقفة، كما روى أبو يعلى في «مسنده»(٧٥٢١)عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ، فَصَمَتَ، ثُمَّ عَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ، فَصَمَتَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهَا قَائِمَةً مَلِيًّا -أَوْ قَالَ: هَوِيًّا- تَعْرِضُ نَفْسَهَا عَلَيْهِ، وَهُوَ صَامِتٌ، فَقَامَ رَجُلٌ -أَحْسَبُهُ قَالَ: مِنَ الْأَنْصَارِ- قَالَ: إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا.. وسنده صحيح.

«عِنْدَكَ شَيْءٌ تُصْدِقُهَا؟» أي: مهر.

«فَقَالَ: وَاللهِ! إِنْ وَجَدْتُ شَيْئًا» كان الصحابة عندهم ضيق الحال في المعيشة، هذه الحالة اختارها الله لنبيه ولصحابة نبيه، ولو كانت الدنيا مكرمةً لأكرمهم الله بها، فلا نظن يا أخوات أن الانفتاح في الدنيا وبسط الدنيا نعمة؛ فهذا قد يكون فتنة وشرًّا، والفتن والمنكرات والعناد منبعها الترف، قال تَعَالَى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء].

«اذْهَبْ، فَالْتَمِسْ» أي اطلب، أمره بالرجوع إلى بيته فما وجد شيئًا.

«مَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟» قَالَ: سُورَةُ كَذَا، وَكَذَا، لِسُوَرٍ عَدَّدَهَا» كأنها قليلة فجعل يعددها.

وفي رواية عند البخاري(٥٠٣٠)، ومسلم (١٤٢٥) قَالَ: «أَتَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ؟» قَالَ: نَعَمْ. أي: تحفظها غيبًا.

فقال النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ مَلَّكْتُكَهَا، بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»، وهذا فيه كرامة لصاحب القرآن، وكان هذا مهر تلك المرأة الصالحة، أي: لحفظه بعضًا من القرآن أكرمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزوجه بما معه من القرآن.

وقال بعض أهل العلم: إن مهر هذه المرأة أن يعلمها القرآن.

وهذا من فضائل ومن بركات القرآن الكريم، فالقرآن بركاته عظيمة، حتى إن الذي يحفظ القرآن الكريم يكون الاستدلال عليه سهلًا، إذا صحبه توفيقٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأذكر مقالة لوالدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، ذات مرة سأل طالبًا من طلابه، فتتعتع الطالب قليلًا، فقال له: أنت تحفظ القرآن، الذي يحفظ القرآن يغرف الأدلة من القرآن، يعني: إذا جعل الله عَزَّوَجَلَّ له البركة فإنه يعينه على الاستدلال(١٣).

(١٣) فكلام والدي فيه التشجيع على حفظ القرآن، ولا يعني أنه بمجرد حملِهِ لكتابِ الله صدرًا وسطرًا يمتلك القدرةَ على استحضار سَرْدِ الأدلة، عند الحاجة والنازلة، ولكن إن منحَهُ ربُّه استثمارَ ما حفِظَهُ، ورزقَهُ التوفيق؛ إذِ العلم نورٌ يجعله الله في قلوب من يشاء من عباده.

وكان فيه رجل من طلاب والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان أبوه حريصًا على أن يكون ولده نابغًا وواعظًا، فتمنى هذا الأب أن يرى ولده يعظ الناس، فقال والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا كان عنده علم فعلمه يقيمه.

فسبحان الله! ليس المعتبر أن الطالب أو الطالبة يحفظان لهما موضوعًا، ومن هذا المكان وإلى هذا المكان؛ لإلقاء هذه الكلمة، المعتبر التحصيل والاستفادة، إذا كان هناك علم فالعلم يقيمه، فما أحد يستطيع يترك الناس من غير أن يعلمهم ويفيدهم.

وهذا يتطلب منك أن تهتمي بحفظ القرآن وتستعيني بالله عَزَّوَجَلَّ، وأن تهتمي بحفظ العلم، فاحفظ فكل حافظ إمام.

وإن القارئ إذ يقرأ يمرُّ به كنوز من العلوم النافعة، والقرآن لا يَخْلَقُ وإن كثر ترداده، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، وكلما أكثر الإنسان من تلاوته ازداد إيمانًا، وازداد خشوعًا، وكلما أكثر من تلاوته سهل على لسانه يصير سهلًا كما قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»

(٥٠٣١): الَّذِي يُدَاوِمُ عَلَى تلاوة القرآن يُذَلَّلُ لَهُ لِسَانُهُ، وَيَسْهُلُ عَلَيْهِ قِرَاءَتُهُ، فَإِذَا هَجَرَهُ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ وَشَقَّتْ عَلَيْهِ.

ولو تدبرنا القرآن وما فيه من العلوم والبركات والخيرات لاستفدنا وتأثرنا به، فإن القرآن مؤثر؛ يهز القلوب، وتسكن إليه النفوس، والجن لما سمعوا القرآن ماذا قالوا؟ ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١-٢].

وروى البخاري (٤٨٥٤) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧﴾ [الطور]، قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ.

وفي رواية للبخاري (٤٠٢٣)، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِي».

سبحان الله من قوة تأثره بالقرآن وفهمه لما تضمنته هذه الآيات من المعاني العظيمة كاد قلبه أن يطير!

فالقرآن مؤثر ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٢٣ ﴾ [الزمر: ٢٣].

فالقارئات يحرصن إذا قرأن القرآن أو استمعن له أن يستفدن، ماذا تدل له هذه الآية، وماذا نستفيد من هذه الآية.

والقرآن هو أصل العلوم ومصدر العلوم، فنأخذ منه عقيدتنا، وكيف نعظم ربنا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، نأخذ منه الإيمان بالقدر، وفقه ديننَا، نأخذ منه أخلاقنا، القرآن مليء بالأخلاق؛ ولهذا النّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كان خلقه القرآن، فالقرآن مليء بالأخلاق: الصدق، الزهد، الوفاء، الصبر، كظم الغيظ، الإخلاص، مليء بالآداب، آداب مع الله، آداب مع نبيه، آداب مع الخلق، آداب مع الجيران، آداب مع النفس، آداب مع الزوج، ومن ذلك بيان أن الزوج له القوامة ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي

ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [النساء: ٣٤].

وبهذه المناسبة كان والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: يجب على المرأة أن تشعر بقيومية زوجها عليها.

وبعض النساء تريد أن تأخذ القوامة هي، ويكون زوجها هي القائمة عليه، هذا خطأ، لا يجوز لها أن تسحب القوامة لها، ولا أن تفكر في ذلك، الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي أنزل هذا الحكم وهذا القرار من فوق سبع سماوات ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ [النمل: ٦].

وعلى المرأة ترضى بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعيننا جميعًا على احترام أزواجنا، وعلى الشعور بقوامتهم، والتأدب معهم، وعدم منازعتهم في خصوصياتهم.

هذه مجرد إشارة إلى بركات القرآن والحرص على التماسِها والفوز بها، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفعنا بالقرآن، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفعنا بما قلنا وبما

سمعنا، وأن يجعل هذا القرآن نورًا لنا وحجة لنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله،

والحمد لله رب العالمين.

تم نشر هذه المحاضرة ولله الحمد والمنة.

يوم الثلاثاء الموافق ٦/ من شهر صفر/ لعام ١٤٤٥ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.